

”هل تتجه المنطقة نحو توازن قوى جديد؟“

تحت هذا العنوان قدم الباحث النرويجي، والأستاذ في جامعة أوسلو، كاي كفيرمي، محاضرة في مقر مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت، مساء يوم الثلاثاء في 10 شباط/فبراير 2015، حضرها عدد من المهتمين العرب والأجانب.

وقد طرح الباحث المذكور، في بداية محاضرته، افتراضاً مفاده أن إدارة الرئيس الأميركي، باراك أوباما، التي أخذها ”الربيع العربي“ على حين غرة، راحت تبلور مع الوقت استراتيجية جديدة في المنطقة – مختلفة عن استراتيجية ”الشرق الأوسط الجديد“ التي تبنتها إدارة جورج بوش الابن – تقوم على أساس تمكين إيران من لعب دور ”شرطي المنطقة“ في مواجهة القوى المتطرفة السنية، مثل ”داعش“، وأن المستفيد الأول من هذه الاستراتيجية الجديدة قد يكون إقليم كردستان في العراق الذي يمكن أن يتحول، في غضون سنوات قليلة، إلى دولة مستقلة.

وبهدف تزكية افتراضه هذا، طرح كفيرمي عدداً من الأفكار يمكن إجمالها فيما يلي:
إن إدارة أوباما قررت الانسحاب من أفغانستان والعراق لأن مركز الثقل في سياستها الخارجية صار ينتقل إلى شرق آسيا، من دون أن يعني هذا تخليها عن الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط؛ وأنها راحت تبحث عن قوة إقليمية ”تسد الفراغ“ وتقوم بدور ”الوكيل“ وتقف في مواجهة تصاعد نفوذ الحركات الإسلامية المتطرفة، معتبراً أن إيران هي القوة المؤهلة أكثر من غيرها – في نظر هذه الإدارة – للعب هذا الدور، وذلك لأن مصر مشغولة حالياً بمشاكلها الداخلية وبما يجري في ليبيا، ولأن السعودية تواجه كذلك مشاكل داخلية سياسية واجتماعية، كمشكلة انتقال السلطة إلى جيل جديد من أمراء العائلة الحاكمة ومشكلة البطالة، ولأن قطر دولة صغيرة لا تمتلك إمكانيات لعب دور إقليمي، ولأن تركيا دولة عضو في حلف الأطلسي متحالفة مع الغرب، تعاني من المشكلة الكردية ويدعم نظامها جماعة الأخوان المسلمين.

ورأى الباحث أن فكرة قبول قيام إيران بلعب دور ”شرطي المنطقة“ فكرة تدعمها مراكز أبحاث عديدة في الولايات المتحدة الأميركية، ويتبناها الرئيس أوباما الذي يدير هو شخصياً سياسة بلاده الخارجية – ففريقه مؤلف من عشرة أشخاص لا يوجد ضمنهم مختص واحد في شؤون الشرق الأوسط – معتبراً أن إيران ستتمكن من لعب هذا الدور في حال تخليها عن إنتاج القنبلة النووية وموافقتها على فرض رقابة

على برنامجها النووي، ومقدراً أنها ستشهد، بعد رفع العقوبات الدولية عنها، نمواً اقتصادياً كبيراً قد يدفعها إلى التخلي عن سياسة دعم "محور المقاومة".

وأضاف أن إيران تلعب اليوم - برضى أميركي - دوراً بارزاً في العراق - حيث هناك تعاون أميركي-إيراني جلي- وفي سورية ولبنان واليمن، موضحاً أن مفهوم "شرطي المنطقة" لا يعني سيطرة إيران الكاملة على المنطقة، وإنما مساهمتها في ضمان استقرارها ومواجهة نزعات التطرف السني فيها، لا سيما وأن الإدارة الأميركية قررت التركيز على علاقاتها مع دول شرقي آسيا، وبخاصة الصين، كما قررت عدم التدخل العسكري البري في المنطقة لا لمواجهة "داعش" ولا لمواجهة غيرها.

وبخصوص المسألة الكردية، أكد كفيرمي أن الدولة الكردية، في حال قيامها، ستقتصر على إقليم كردستان في العراق، ولن تشمل بقية مكونات الشعب الكردي، معتبراً أن أكراد العراق لديهم علاقات جيدة مع تركيا، وليست لديهم مشاكل مع إيران، ولا مع الحكومة المركزية الجديدة في بغداد، ونجحوا في ضمان الأمن في إقليمهم، ويتمتعون بدعم قوي من الإدارة الأميركية، والدليل على ذلك أن واشنطن طلبت من حكومة النرويج إرسال خبراء إلى العراق لمحاربة "داعش"، فأرسلت الحكومة النرويجية 150 خبيراً استقر نصفهم في كردستان العراق.

وبعد أن انتهى الباحث النرويجي من إلقاء محاضرته، طرح الحاضرون عدداً من التعليقات والأسئلة تمحورت حول إغفال المحاضر الحديث عن مصير مثل هذه الاستراتيجية "الجديدة" في حال تغير الإدارة الأميركية ووصول الجمهوريين إلى البيت الأبيض، وعن دور إسرائيل وتداعيات الصراع العربي-الإسرائيلي على هذه "الاستراتيجية" الأميركية، وكذلك إغفاله التطرق إلى دور الشعوب العربية وقواها الديمقراطية.

وبعد أن ردّ المحاضر على بعض أسئلة الحاضرين، خلص إلى القول إن هذه الاستراتيجية الأميركية الجديدة ستفشل لأنها لا تأخذ في الحسبان دور العرب السنة في المنطقة.